

أسعد دوراكوفيتش: الشعرية العربية منذ الجاهلية شعرية أرابسك

الباحث يرسخ علم الشرق بديلا عن الاستشراق في دراسته للأدب العربي



لتجاوز الصورة النمطية للأدب العربي القديم (لوحة للفنان ساسان نصرانية)

يُذكر أن أسعد دوراكوفيتش تخرج في قسم الاستشراق ببلغراد عام 1976، وعمل في قسم الاستشراق في بريشتينا (1976-1991)، وانتقل إلى معهد الدراسات الشرقية في ساراييفو (1991-1994)، ثم إلى قسم الاستشراق في جامعة ساراييفو، حيث لا يزال يعمل هناك. وقد برز على مستوى الاستشراق في يوغوسلافيا السابقة بكتابته النقدية ضد النزعة المركزية الأوروبية، وتحليلاتها في الاستشراق اليوغوسلافي (مدرسة بلغراد)، التي اعتمد فيها آنذاك على أطروحات إدوارد سعيد، إضافة إلى مؤلفاته المرجعية، وترجماته الرائدة لعيون الأدب العربي من امرئ القيس إلى جبراً إبراهيم جبرا ومحمود درويش.

مجال التراث الشعري العربي الإسلامي عموما هي شعرية الأرابسك، فالقصاصد المكوّنة من حوالي مئة بيت أو أكثر مؤلفة بطريقة يكون فيها كل بيت أو بيتين وحدة مستقلة لها معني، وأن سلسلة هذه الوحدات تشكل وحدة معني من مستوى أعلى في إطار الوزن الواحد والقافية الواحدة.

وقد وصف الدكتور صلاح جرار الكتاب في تقديمه له بأنه "أشبه بحركة تصحيحية في حقل الدراسات الأدبية العربية، إذ قام على تصحيح قدر كبير من المصطلحات والمفاهيم والأحكام التي انتشرت طويلا عن الأدب العربي بشعره ونثره وعن القرآن الكريم وصلته بالأدب العربي".

على الأدب العربي لاحقا بطريقة مشابهة لتأثير الأدب اليوناني القديم على الأدب الأوروبي في القرون الوسطى. كما استنتج الباحث أن الأدب العربي بعد الإسلام تأثر كثيرا بالنص القرآني من زوايا مختلفة. ومن النتائج التي توصل إليها المؤلف أن الشعر العربي القديم غني بالشعرية، وتقنياتها المختلفة على خلاف ما ظنه الكثير من الباحثين من العرب والمستشرقين، وقد أثبت ذلك من خلال وقوفه على ما في هذا الشعر من صور التشبيه وغيرها من التقنيات الفنية.

ويستنتج المؤلف كذلك أن شعرية التراث الجاهلي خصوصا، وشعرية

دوراكوفيتش نفسه. والسبب الذي دعاه إلى نبذ منهج التحقيب وتفصيل منهج الدراسة الفنية والجمالية للشعر العربي القديم أنه يرى أن "الأدب العربي القديم هو منظومة مترابطة بشكل ملحوظ بالمصطلحات الشعرية، أي أنه يمتلك تفرد الخاص به".

ومن منطلق تجنّب المنهج التاريخي واعتماده المنهج الفني تناول دوراكوفيتش موضوعات تمثل خصائص فنية في الشعر العربي القديم مثل: شعرية الأرابسك، والشعرية الاستدلالية للقرآن، والشعرية المعيارية وصعوبة التحقيب، والموتيفات الشعرية، والإهام الشعري وغيرها من الموضوعات، معلنا بذلك مخالفته لمنهج الدارسين الذين سبقوه، بل معترضا على تلك المناهج ومفندا لها.

ومن أبرز الأدلة على ابتعاد المؤلف عن النمطية والتقليد، عدم تسليمه ببعض المفاهيم السائدة في دراسات الأدب العربي، إذ إنه لا يكتفي برفض تقسيم الأدب العربي إلى حقب تاريخية تعتمد الأحداث السياسية، بل يرفض أيضا كثيرا من المفاهيم والمصطلحات مثل مصطلح "الأدب الجاهلي" الذي يرى أن مؤرخي الأدب أطلقوه وهو غير ملائم. ومن المفاهيم التي يرفضها دوراكوفيتش ويثبت بطلانها القول بالطبيعة المادية للشعر العربي القديم، وأن مثل هذه الأحكام نشأت عن الإخفاق في فهم المبادئ الجمالية لهذا التراث، ويقترح أن يوصف الشعر العربي القديم بأنه واقعي بدلا من مادي، ويقدم على ذلك أدلة كافية. ويرى أن نمط ظاهرا كثيرة في الأدب العربي تختلف تماما عما جرى تقديمها به عند استخدام منهج متنازل.

شعرية الأرابسك

مثلما كانت منطلقات المؤلف في هذا الكتاب واعية وعميقة ورافضة للمفاهيم والمصطلحات السائدة، فقد جاءت وسائله ومنهجه في البحث

جديدة أيضا، إذ نظر إلى الأدب العربي من زوايا لم تلتفت إليها كثيرون من قبل، فنظر إلى هذا الأدب بمنظار الشعرية والأرابسك والموتيفات والتهيمات والإهام الشعري والسريالية والتناض والأسلوبية والجمالية والفضاء النصي وتقنية الشعر، وغير ذلك مع إجراء مقارنات بين الأدبين العربي والغربي، ومقارنات أخرى بين النص القرآني والنص الشعري القديم، ليصل إلى نتائج جديدة ومدهشة.

ومن أهم هذه النتائج: أنّ مهد الأدب العربي هو عصره القديم الذي يدعى الأدب الجاهلي، وأن هذا العصر قد أثر

لم تفلح أغلب المقاربات النقدية للأدب العربي القديم، التي أضرت بها الإسقاطات الكثيرة التي توسلها النقاد في الأدب العربي منذ الجاهلية وما تلاها. ولعل من أبرز الأخطاء هو تناول هذا الأدب بتحقيب زمني خطي صارم، أقام فواصل مغلوبة بين مراحل تطوّر هذا الأدب، بالإضافة إلى اتسام الكثير من الدراسات بنظرة استشراقية دونية، وهو ما يتجاوزها الباحث اليوسني أسعد دوراكوفيتش.

ان المؤلف يبحث في قضايا نمطية أو مكررة كالتشبيه والإعجاز والمجاز القرآني، لكنه عندما يوغل في قراءة الفصول يجد إضاءات واكتشافات ونتائج جديدة وزوايا نظر نادرا ما تناولها من قبل، ففي فصل بعنوان "التشبيه في الشعر العربي القديم: عالم على مسافة" يعرض المؤلف لمسائل دقيقة وجديدة مثل: واقعية (أو مادية) الشعر العربي القديم، وصور الوصف ووفرة التهيمات في القصائد، وتقطع الفضاء النصي، وتدرج الزمن النصي، والتركيز على التسطح الجسدي، ونمطية ما قبل الوصف، ومصدر التنميط الدائم للمخزون اللفظي للقصيدة، ومكوني التشبيه بوصفها معماري الإيجائية، وغيرها. وهذه المسائل الدقيقة في إطار الحديث عن التشبيه في الشعر العربي القديم تكاد تكون كلها جديدة، وتدل على فطنة ونباهة ورؤية نقدية عميقة وفاحصة ونكّية.

على الرغم من كون مؤلف الكتاب يبحث في الشعر العربي من غير توقّف عند زمن واحد أو مكان واحد، فإن منهجه ليس نمطيا ولا تقليديا، ولا يهجم على ما هجم عليه الدارسون الآخرون من موضوعات تقليدية مألوفة، ولم يابه بالتحقيب، ولا بإعادة نبش الموضوعات العامة، ولا تقسيمات الأدب العربي المعروفة إلى شعر ونثر، وتقسيم الشعر إلى أغراض مشهورة، وإنما بحث في موضوعات غير مطروقة إلا قليلا، دون أن يحفل بالأراء والأحكام المتداولة التي تتناقض سائر المؤلفات التي تناولت الأدب العربي عموما.

ويأخذ دوراكوفيتش على الدارسين للأدب العربي من عرب ومستشرقين أنهم يقدمون هذا الأدب بوصفه مرتبا ترتيبيا تاريخيا وسياسيا صارما، وأنهم لا يقدرون على فهم الأدب بوصفه قيمة فنية، وتقسيمه إلى عهود أدبية لا

عهد سياسية مرتبطة بأسر حاكمة، كالآداب الأموي والأدب العباسي والأدب الفاطمي، إلخ. وهو بذلك يسعى إلى نبذ المنهج التاريخي البحث ليتناول موضوعاته وفق المنهج الفني، ويبحث عن المسلمات الجمالية للأدب العربي القديم بواسطة المنهج العلمي المناسب الخاص بالشعرية، كما يقول

يشتمل الكتاب الصادر حديثا عن "دار الآن ناشرون وموزعون" في عمان بترجمة عدنان حسن، على جانبين، نظري وتطبيقي، وتعود نواته إلى دراسة دوراكوفيتش "الاستشراق: مشكلات المنهج والمسميات" التي نشرها عام 2000، وكانت خلاصة تجربته في التحزب من "الاستشراق" المعبر عن المركزية الأوروبية في تعاملها مع العالم، وفي التطلع إلى بديل مناسب في الاسم والمنهج.

مصطلح بديل للاستشراق

يشتمل الكتاب الصادر حديثا عن "دار الآن ناشرون وموزعون" في عمان بترجمة عدنان حسن، على جانبين، نظري وتطبيقي، وتعود نواته إلى دراسة دوراكوفيتش "الاستشراق: مشكلات المنهج والمسميات" التي نشرها عام 2000، وكانت خلاصة تجربته في التحزب من "الاستشراق" المعبر عن المركزية الأوروبية في تعاملها مع العالم، وفي التطلع إلى بديل مناسب في الاسم والمنهج.

يحمل المؤلف المسؤولية إلى الاستشراق والدراسات الشرقية، التي يعدها "مؤسسة أيديولوجية"، ويترك للقرّاء أن يلمح تأثير إدوارد سعيد هنا، ويقترح مصطلحا بديلا للاستشراق، لامركزيا أوروبيا في مقاربة هذا الحقل من البحث، هو "علم الشرق".

وقد يبدو للقرّاء، وهو يطالع عناوين بعض الفصول في هذا الكتاب،

ويأخذ دوراكوفيتش على الدارسين للأدب العربي من عرب ومستشرقين أنهم يقدمون هذا الأدب بوصفه مرتبا ترتيبيا تاريخيا وسياسيا صارما، وأنهم لا يقدرون على فهم الأدب بوصفه قيمة فنية، وتقسيمه إلى عهود أدبية لا

عهد سياسية مرتبطة بأسر حاكمة، كالآداب الأموي والأدب العباسي والأدب الفاطمي، إلخ. وهو بذلك يسعى إلى نبذ المنهج التاريخي البحث ليتناول موضوعاته وفق المنهج الفني، ويبحث عن المسلمات الجمالية للأدب العربي القديم بواسطة المنهج العلمي المناسب الخاص بالشعرية، كما يقول

يشتمل الكتاب الصادر حديثا عن "دار الآن ناشرون وموزعون" في عمان بترجمة عدنان حسن، على جانبين، نظري وتطبيقي، وتعود نواته إلى دراسة دوراكوفيتش "الاستشراق: مشكلات المنهج والمسميات" التي نشرها عام 2000، وكانت خلاصة تجربته في التحزب من "الاستشراق" المعبر عن المركزية الأوروبية في تعاملها مع العالم، وفي التطلع إلى بديل مناسب في الاسم والمنهج.

يحمل المؤلف المسؤولية إلى الاستشراق والدراسات الشرقية، التي يعدها "مؤسسة أيديولوجية"، ويترك للقرّاء أن يلمح تأثير إدوارد سعيد هنا، ويقترح مصطلحا بديلا للاستشراق، لامركزيا أوروبيا في مقاربة هذا الحقل من البحث، هو "علم الشرق".

وقد يبدو للقرّاء، وهو يطالع عناوين بعض الفصول في هذا الكتاب،

ويأخذ دوراكوفيتش على الدارسين للأدب العربي من عرب ومستشرقين أنهم يقدمون هذا الأدب بوصفه مرتبا ترتيبيا تاريخيا وسياسيا صارما، وأنهم لا يقدرون على فهم الأدب بوصفه قيمة فنية، وتقسيمه إلى عهود أدبية لا

عهد سياسية مرتبطة بأسر حاكمة، كالآداب الأموي والأدب العباسي والأدب الفاطمي، إلخ. وهو بذلك يسعى إلى نبذ المنهج التاريخي البحث ليتناول موضوعاته وفق المنهج الفني، ويبحث عن المسلمات الجمالية للأدب العربي القديم بواسطة المنهج العلمي المناسب الخاص بالشعرية، كما يقول

يشتمل الكتاب الصادر حديثا عن "دار الآن ناشرون وموزعون" في عمان بترجمة عدنان حسن، على جانبين، نظري وتطبيقي، وتعود نواته إلى دراسة دوراكوفيتش "الاستشراق: مشكلات المنهج والمسميات" التي نشرها عام 2000، وكانت خلاصة تجربته في التحزب من "الاستشراق" المعبر عن المركزية الأوروبية في تعاملها مع العالم، وفي التطلع إلى بديل مناسب في الاسم والمنهج.

بعد ألف عام من تأليفه طبعة منقحة من «طوق الحمامة»

كتاب ابن حزم لا مثيل له في الحب وهو في الوقت ذاته وثيقة تاريخية بالغة الأهمية عن أحوال الأندلس

بالقليل من شعر ابن حزم نفسه، وجاء الكتاب مُقسما على ثلاثين بابا، عشرة في أصول الحب، واثنان عشر بابا في أغراضه المحمودة والمذمومة، وفي الإفاضة الداخلية على الحب ستة أبواب، وختم ببابين أحدهما في فبح المعصية والآخر في فضل التعفف. ورغم أن فرادته ككتاب لا مثيل له في الحب تكفيه، يُمثل طوق الحمامة في الوقت ذاته وثيقة تاريخية بالغة الأهمية عن أحوال الأندلس وما مرت به من أحداث سياسية واضطرابات وفتن في عصر مؤلفه، كما يُعد وثيقة أدبية نستدل منها على شخصية ابن حزم وثقافته وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم.

عناية، حيث شُفع بتصدير علمي دقيق يفيد القارئ العام والباحث المتخصص معا، اضطلعت به الأكاديمية امال إبراهيم.

كما تقدم النسخة الجديدة شروحا وافية للمفردات والتعابير التي ربما باتت مهجورة أو مغربة عن معجم القارئ العصري، وهوامش دقيقة بالإيضاحات الضرورية، لتمكين جميع الشرائح من قراءة سلسلة لا تقف فيها صعوبات اللغة في بعض المواضع حائلا أمام الاستمتاع بالمتن الثري للكتاب، ما يجعل من هذه الطبعة الجديدة من طوق الحمامة إسهاما فكريا يتجاوز فكرة إعادة النشر لإعادة الاكتشاف.

رسالة "طوق الحمامة" مستفيدة في صفات الحب ومعانيه وأسبابه، كتبه ابن حزم الأندلسي بتكليف من أحد أصدقائه، داعما مقته بالأخبار وقصص المحبين من واقع ما شاهدته وحذّته به الثقات من أهل زمانه، كما احتوى على قدر ليس

القاهرة - ربما لا يتخيل كثيرون أنه بحلول العام القادم، يكون كتاب الحب الأشهر "طوق الحمامة في الألف والألف"، قد أكمل الف سنة منذ خرج إلى الوجود. رغم ذلك لا يزال الأثر الذي كتبه ابن حزم الأندلسي سنة 1022 نبعيا لا ينضب في فنون العاطفة والكتاب العربي وربما العالمي الأعظم على الإطلاق في أدب الحب.

الكتاب الشهير له مخطوطة وحيدة بمكتبة ليدن بهولندا، هي التي اعتمد عليها المستشرق الروسي بيتروف في تحقيقه للكتاب، الذي ظهرت طبعته الأولى عام 1914، أي بعد نحو تسعمئة سنة من كتابته، ليتوالى صدور طبعاته العربية التي وصلت إلى 14 طبعة بين عامي 1930 و2012.

وفي الطبعة الجديدة التي طرحتها "الدار المصرية اللبنانية" بالقاهرة مؤخرا، محاولة لإعادة تقديم هذا الكتاب الخالد بما يليق به من

المغاربة لم يستفيدوا من التعدد اللغوي

وعلميا وتنمويا. كما يتناول فرحاتي تجربة التعريب للنهوض باللغة العربية في الجزائر، ويناقش عواقبه الموضوعية كهيمنة الفرنسية، منظرها إلى خطورة الهيمنة اللغوية الأحادية والأدلجة.

الكتاب يعيد صياغة المشكلة اللغوية لبلدان المغرب العربي في ضوء التعدد اللغوي والحاجة للغوي والحاجة لشعوبها

وفي الفصل الرابع من الكتاب، يعاين الباحث اللغة في الوضع العملي، ومسألة العدالة اللغوية، وبين إمكانية إعادة صياغة المشكلة اللغوية المحلية في الجزائر، في ضوء التعدد اللغوي، والحاجة الحضارية للشعوب المغربية. يُشار إلى أن العربي بلقاسم فرحاتي حاصل على شهادة دكتوراه في علوم التربية، ويعمل أستاذا بجامعة باتنة، صدرت له العديد من المؤلفات من بينها "تطور الفكر التربوي في مجتمعات ما قبل الميلاد"، و"البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات".

المسألة اللغوية كما لو أنّها مشكلة استقلال الملف اللغوي، وتحريره من الهيمنة، ثم مسألة العدالة اللغوية المرتبطة بتحقيق تكافؤ الفرص لمكونات الخارطة السوسولوجية للغات الهوية المجتمعية، في الإنفاق المالي، وفي حق الحضور الاجتماعي والإداري والاقتصادي.

كما يقترح الكتاب الذي ينقسم إلى أربعة فصول، انتشال القضية اللغوية من سياسات الأدلجة وجماعات النفوذ، والمقاربات التجزيئية. ويعالج المؤلف في الفصل الأول من كتابه، الصادر عن مؤسسة الإصالة للنشر بالجزائر، المفاهيم الواردة في العنوان "العدل اللغوي" و"التنميطية" و"التربية"، بوصفها متغيرات، وبيان العلاقة في ما بينها لدى المجتمعات المتنوعة، كالمغرب العربي، مع توضيح القيمة الاقتصادية للغات التي تمثل كنزا لا يجوز التفریط فيه. بينما يتناول الكاتب في الفصل الثاني العدل في السياسة اللغوية المغربية من منظور تنموي، مناقشا ظاهرة التعدد اللغوي، التي يمكن الاستغلال عليها إبداعيا

الجزائر - يناقش كتاب "سؤال العدل في السياسة اللغوية المغربية" للباحث الجزائري العربي بلقاسم فرحاتي مسألة العدل اللغوي في الدول المغربية ما بعد الكولونيالية، بوصفه من أكبر المشكلات الوطنية المتأزمة أيديولوجيا وتربويا، كما هو مطروح في السياسات اللغوية للدول المغربية منذ الاستقلال. وبحسب فرحاتي، فإن الاعتراف المتبادل بقيمة التعدد اللغوي اقتصاديا وتربويا، والاعتراف بحقوق اللغات الوطنية العربية والإمازيغية في الارتقاء بمتنها ومكانتها بعبارة، ما زال في طور النضال القانوني المشوب بالأيديولوجيا، ولم تعالج السياسات المعالجتها معالجة علمية، مما أبغى على هيمنة اللغة الفرنسية في التعليم والإدارة. كما أن سياسات التعريب، على أهميتها، لم تكن بمنأى عن الصراع الأيديولوجي بين الجماعات اللغوية، سواء في الصيغة العلمية أو الملمنة.

وإنقاذ هذا الكنز الرمزي والثروة الاقتصادية التي تحتجزها لغات الهوية للدول المغربية، يقترح المؤلف طرح

